موقف النقاد من قضية الصدق والكذب

إعداد

وفاء عبدالله محمد

مدرس مساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة أسوان

الإيميل

wafaa_abdallah200915@yahoo.com

موقف النقاد من قضية "الصدق والكذب"

وفاء عبدالله محمد*

***ملخص البحث:**

تعدّ قضية الصدق والكذب من القضايا النقدية المهمة التي شغلت النقد العربي، وقد شاعت هذه القضية منذ قديم، وأثارت جدلًا كبيرًا في الوسط النقدي، لهذا نالت اهتمام النقاد والباحثين قديمًا وحديثًا. غير أن الموضوع لم يجمع عليه النقاد في زاوية واتجاه واحد؛ بل انقسموا بين مؤيد ومعارض لفكرة الصدق والكذب في الشعر العربي.

وقد تباينت مواقف النقاد العرب كثيرًا حول قضية (الصدق والكذب في الشعر)؛ فمنهم من ربط قيمة الشعر الحق بالصدق، ونفى عنه الكذب، وضرورة التزام الشاعر بالصدق في إبداعه، ناقلًا الكلام دون كذب ومبالغة، وهؤلاء حجتهم في الشعر الجيد، والإبداع الراقي الصدق في القول، وهم بذلك يعتبرون أن " أحسن الشعر أصدقه".

ومنهم من يعتبر الكذب أرقى لغة الشعر، وجعل الكذب سببًا لرفض الشعراء، وحجة هؤلاء أن " أحسن الشعر أكذبه"، ومنهم من وقف موقفًا وسطًا، ومنهم من وقف حائرًا إزاءها لا يدري ماذا يقول.

وكان مصطلحا (الصدق والكذب) من جملة المعايير النقدية التي استخدمت في الحكم على الشعر والشعراء، وفي التقديم والتأخير، والمدح والذم. وفي العصر الجاهلي نجد حضورًا لقضية (الصدق والكذب) في الشعر، وبدأ فريق من الشعراء والنقاد يؤثر الصدق، وفريق آخر يميل إلى المبالغة والغلو.

* مدرس مساعد بقسم اللغة العربية- كلية الآداب – جامعة أسوان

wafaa_abdallah200915@yahoo.com

Abstract:

Critics' Views on the Issue of "Truthfulness and Falsehood"

The issue of truthfulness and falsehood is one of the important critical issues in Arab criticism ever since ancient times, and it has sparked a great controversy in the critical milieu. However, critics are divided into two groups: some of them support the idea that truthfulness and falsehood are tackled in Arabic poetry, and the other group opposes this idea.

Moreover, Arab critics' views concerning the issue of truthfulness and falsehood in poetry differ. Some of them relate the value of poetry to truthfulness. This group of critics believed that a poet must be true to his poetry by conveying words and ideas without lying or exaggeration. Those critics support their argument by the fact that one must tell the truth ; thus, they consider that "the best poetry is the most truthful".

However, there is another group of critics that regards lying as the finest language for poetry; thus, unlike the first group, they consider that "the best poetry is the one that tells lies". There is also a third group of critics who are confused between the earlier two groups and who do not have a clear view of which is better.

Hence, truthfulness and falsehood are among the terms and the critical criteria based on which poetry and poets are evaluated ever since the pre-Islamic era where the issue of the truthfulness and falsehood was tackled, and where a group of poets and critics preferred honesty and truth, whereas another group tends to exaggerate.

***البحث:-**

تعدّ قضية الصدق والكذب من القضايا النقدية المهمة التي شغلت النقد العربي، وقد شاعت هذه القضية منذ قديم، وأثارت جدلًا كبيرًا في الوسط النقدي، لهذا نالت اهتمام النقاد والباحثين قديمًا وحديثًا. غير أن الموضوع لم يجمع عليه النقاد في زاوية واتجاه واحد؛ بل انقسموا بين مؤيد ومعارض لفكرة الصدق والكذب في الشعر العربي.

وقد تباينت مواقف النقاد العرب كثيرًا حول قضية (الصدق والكذب في الشعر)؛ فمنهم من ربط قيمة الشعر الحق بالصدق، ونفى عنه الكذب، وضرورة التزام الشاعر بالصدق في إبداعه، ناقلًا الكلام دون كذب ومبالغة، وهؤلاء حجتهم في الشعر الجيد، والإبداع الراقي الصدق في القول، وهم بذلك يعتبرون أن " أحسن الشعر أصدقه".

ومنهم من يعتبر الكذب أرقى لغة الشعر، وجعل الكذب سببًا لرفض الشعراء، وحجة هؤلاء أن " أحسن الشعر أكذبه"، ومنهم من وقف موقفًا وسطًا، ومنهم من وقف حائرًا إزاءها لا يدري ماذا يقول.

وهم على سبيل الإجمال ينقسمون إلى مذهبين:

١- مذهب يرى أصحابه أن الشعر نتاج الشاعر الذي لا حدود لقدرته على الإنشاء والاختراع، وللشاعر تبعًا لذلك أن يعرض في شعره ما أوحى إليه خياله، وخيلته له نفسه، غير ملوم على شيء من ذلك؛ لأنه لا سلطان على إبداع الشاعر، ولا حق لمخلوق في أن يسم قوله بالصدق، أو الكذب؛ لأن الشعر تصوير لواقع العالم الخارجي، أو الداخلي في نفس الشاعر، هذا بغض النظر عما يكون في النفس البشرية من إمارات السوء، مما يهدد قيم المجتمع، وتقاليده السائدة، وبنائه الفكري.

٢- والمذهب الثاني لدى النقد الحديث يؤيد الفريق الأول في بعض رأيه؛ فيرى أن المعنى الحق الذي ينبغي أن يستمد منه الشاعر إنما هو نفسه، أي أن الشعر تصوير للنفس الشاعرة بما انفعلت به، وعامله الداخلي، وأن الخلق الشعري ما هو إلا تصوير للنفس الشاعرة التي يمكن أن تنداح على سطحها موجات الانفعال بالمؤثرات الخارجية، بقوة أكبر بكثير مما عليه الأمر عند غير الشعراء، فهم يرون

أن على الشاعر أن يقيم توازنًا بين مثير التجربة الشعرية، وبين ما يُحدثه هذا المثير من تعبيرات، أي أن على الشاعر ألا يطلق العنان للأوهام، فالصدق لدى هؤلاء هو صدق العاطفة وصدق التعبير عنها.

وكان مصطلحا (الصدق والكذب) من جملة المعايير النقدية التي استخدمت في الحكم على الشعر والشعراء، وفي التقديم والتأخير، والمدح والذم. وفي العصر الجاهلي نجد حضورًا لقضية (الصدق والكذب) في الشعر، وبدأ فريق من الشعراء والنقاد يؤثر الصدق، وفريق آخر يميل إلى المبالغة والغلو[١].

ولقد تناول قضية الصدق والكذب النقاد القدامى، وكانت لهم آراء في ذلك، ومن الذين تحدثوا في ذلك:

١- الأصمعي (ت ٢١٦هـ):

لقد نوه الأصمعي بقضية الصدق والكذب في الشعر، من خلال كلامه على الأخلاق الحميدة، وسلوك الشاعر الاجتماعي، ومن خلال حديثه عن العقيدة الدينية، أو المذهبية، ومن خلال دعوته إلى التسامح مع الشعراء الوثنيين؛ لكونهم عماد التراث العربي، وتلك الدعوة تظهر لنا تأكيد الأصمعي على إجادة الشاعر، وقدرته وإبداعه. حيث يقول:

" طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير- من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر- رضوان الله عليهما، وغيرهم- لان شعره. وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس، وزهير، والنابغة، من صفات الديار والرَّحْل، والهجاء، والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر، والخيل،

---

(١) قضية الصدق والكذب في النقد العربي: وليد إبراهيم قصاب، ط ١ (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م)، سلسلة كتاب المجلة العربية ٢٧٨- الرياض، ص ١٠.

والحرب، والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان" [١]. وقوله أيضا: " الشعر نكد، بابه الشر، فإذا دخل الخير ضعف" [٢].

٢- ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ):

وقد نوه ابن سلام الجمحي بقضية الصدق من جانب آخر، من خلال تناوله لشعر الرثاء، وأن أصدق ما يكون الشاعر في وقت الحزن عندما يفقد إنساناً عزيزًا عليه، حيث يقول:

" ذكروا أن عمر قال لمتمم بن نويرة: ما بلغ من جزعك على أخيك؟ وكان متمم أعور، قال: بكيت عليه بعيني الصحيحة حتى نفد ماؤها، فأسعدتها أختها الذاهبة، فقال عمر: لو كنت شاعرًا لقلت في أخي أجود مما قلت، قال: يا أمير المؤمنين لو كان أخي أصيب مصاب أخيك ما بكيته، فقال عمر: ما عزاني أحد عنه بأحسن مما عزيتني، وبكى متمم مالكًا فأكثر وأجاد، والمقدمة منهن قوله:

لَعَمْري وما دهري بتأبين هالكٍ ولا جَزَعٍ مما أصاب وأوجعا

قال ابن سلام: وأخبرني يونس بن حبيب: أن التأبين مدح الميت، والثناء عليه"[٣].

ونوه ابن سلام الجمحي بقضية الصدق أيضًا من خلال كلامه على واقعية العاطفة، وقصرها على الشاعر الذي خاض التجربة الشعرية، وتجريدها من الشاعر الذي لم ينظر إلى الواقع، والحقيقة المطلقة، وبذلك ابتعد عن الصدق الواقعي، لابتعاد الشعور الحقيقي عنه. وبهذا فقد اختلفت مشاعر الشاعر العاشق، عن الشاعر غير

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ص ٨١.

(٢) الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام: شوقي عبد الحليم حمادة، ط (١٩٧٠م)، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ص ٢٢.

(٣) طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبدالله (ت ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط (١٩٨٠م)، دار المدني-جدة، السفر الأول ص ٢٠٨- ٢٠٩.

العاشق، ولذلك اختلفت التجربة الشعرية، في صدقها وواقعيتها، وفي تصورها وتخييلها.

والمراد بالصدق هنا هو الصدق الفني، وصدق المشاعر الذي يصور التجربة الشعرية بطريقة يتفاعل فيها الشاعر مع المتلقي، وليس الصدق الواقعي، فنجد أن العاطفة تكون صادقة عند الشاعر الذي خاض التجربة الشعرية، فشعر الرثاء يكون صادقا لأنه يخرج من أعماق الشاعر إذا كان الفقيد عزيزا عليه، وقد قيل لأعرابي: "ما بال المراثي أجود أشعاركم؟ قال: " لأنا نقول وأكبادنا تحترق " [١].

٣- الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ):

وتظهر قضية الصدق عند الجاحظ في أثناء حديثه عن المدح، وأنه يجب على الشاعر أن يخاطب الممدوح بما يقتضيه المقام. فالجاحظ وقف إلى جانب الشعراء الذين يميلون إلى القصد والاعتدال والصدق، وفي ذلك دعوة إلى الصدق الفني، وعدم التمسك بالصدق الواقعي، وهذه دعوة صريحة من الجاحظ إلى صياغة الصفات العامة، التي ينبغي تحققها في الموصوف، لا الصفات الذاتية الخاصة له، فهو يدعو إلى مخاطبة الممدوح بأحسن الصفات التي تليق به، وتصويره بخير الصفات، دون مراعاة لما يتطلبه صدق الموقف أو الواقع. حيث يقول:

" وأنفع المدائح للمادح وأجداها على الممدوح، وأبقاها أثرًا، وأحسنها ذكرًا أن يكون المديح صدقًا، وللظاهر من حال الممدوح موافقًا، وبه لائقًا حتى لا يكون من المعبر عنه، والواصف له إلا الإشارة إليه، والتنبيه عليه " [٢].

---

(١) البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٧ (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، مكتبة الخانجي- القاهرة، ٢/ ٣٢٠.

(٢) رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١/ ٣٦.

ويتضح لنا من خلال كلامه على المعنى والمبالغة فيه، وعدم رغبته في إغـراق الشاعر في الخيال، أنه يميل إلى الواقعية الأدبية، ولذلك فهو يكره إفراط المولّـدين؛ لأنهم أفرطوا في صفة السرعة، فقال شاعر منهم يصف كلبه بسرعة العدو: " كأنما ترفع ما لم يوضع " (١).

فالجاحظ يربط بين الغلو والكذب، لأن الافراط هنا ليس استقصاء للمعنى، أو بلوغ غاية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الإسراف، الأمر الذي سـوغ للجـاحظ أن يضـع الشعر الذي وسمه بالإفراط مقابل الشعر المقتصد الذي وصف قائله بالصدق. وذهب الدكتور داوود سلوم إلى أن " المبالغة في المعنى غير مرغوبة عند الجاحظ، وهو لا يميل كذلك إلى ما يسمى بالخيال الخرافي" (٢).

٤- قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ):

وأما قدامة بن جعفر يقول عن ذلك: " إن مناقضة الشاعر نفسه في قصـيدتين أو كلمتين – بأن يصف شيئا وصفا حسنا، ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا أيضًـا – غيـر منكر عليه، ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح، والذم، بل ذلك عندي يـدل علـى قوة الشاعر في صناعته، واقتداره عليها..." (٣).

فهو في حديثه لا يخلو من التناقض، فنجده أولا يمدح مناقضة الشاعر نفسه "فـي قصيدتين أو كلمتين"، كأن يذم مرة، ويمدح أخرى، بشرط أن يحسن الوصف، فهـذا يدل عنده على قوة الشاعر في صناعته، واقتداره عليها فهو مفضـل للكـذب علـى الصدق.

---

(١) الحيوان: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ط٢ (١٤٢٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ٣/ ٣٣.

(٢) النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف: داوود سلوم، ط٢ (١٩٧٠م)، مكتبة الأندلس- بغداد- العراق، ص ٢١٠

(٣) نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ)، ط١ (١٣٠٢هـ)، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، ص ٤.

ويرى قدامة أن فحاشة المعنى في نفسه لا تزيل جودة الشاعر فيه [١]، ودلل على هذا بوضع قاعدة تعترف به وتزكيه، وذلك في قوله: " وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان، من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح والعضيهة، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة " [٢].

والكذب عند قدامة بن جعفر فني، يعني المبالغة، والتمثيل، ولا يقبل قدامة كل مبالغة، بل هناك مبالغات مستساغة، وأخرى مرفوضة، فهو " يحمد الغلو والإفراط وهما فنيان، ويسترذل التناقض والامتناع وهما معنويان؛ لأنه يقول بالجائز، ويرفض غير الجائز، ولو تخيل في الوهم..." [٣].

فقدامة بن جعفر لا يريد من الشاعر الصدق الواقعي، وإنما يطالبه بالصدق الفني، لأن الصدق الفني هو الأصل الذي يعمل على تطور الفنون ولاسيما الشعر، كما يعمل على التعرف على الصدق الواقعي، لكونه الدعامة لكل عمل فني، وهذا يعلله قدامة في قوله:

" لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقًا، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائنًا ما كان، أن يجيده في وقته الحاضر، لا أن يطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر" [٤].

يرى قدامة بن جعفر بعدم تقيّد الشاعر بالصدق أو الكذب؛ ومقياسه في الحكم على الشعراء هو جودة الشعر، والقدرة على صناعته وصياغته، لذلك يطالب الشاعر بالصدق الفنّي، لا بالصدق الواقعي، لأنّه يؤمن بمن يقول:" أحسن الشعر أكذبه"، يقصد

---

(١) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص ٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٤.

(٣) نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية): مصطفى الجوزو، ط٢ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، دار الطليعة- بيروت- لبنان، ص ١٨١.

(٤) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص ٦.

بالكذب: " الكذب القائم على التخييل، وضروبه المختلفة، كالاستعارات، والتشبيهات، التي تبعد بالعبارة عن الحقيقة والواقعية " (١).

فهو بذلك يقف مناقضًا لمبدأ الصدق الذي دافع عنه ابن طباطبا، ويؤكد ذلك بقوله: " إن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقًا، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائنًا ما كان، أن يُجيده في وقته الحاضر، لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر" (٢).

يلاحظ من خلال هذا القول، أن قدامة لا يطالب الشاعر بصدق الموقف أو الواقع، بل يطالبه بالإبداع، أي أن يوفيّ اللحظة الشعرية حقه، كما يرى أن الغلو في المعاني، لا يضر بجودة الشعر، معللا ذلك في قوله: " وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى ... من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة " (٣).

إذا فالجودة في الشعر هي المقياس الأساس في الحكم النقدي على الشعراء، والدليل على ذلك ما قاله في مناقضة الشاعر لنفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئًا حسنًا، ثم يذمه بعد ذلك، فهو لم ينكر عليه ذلك إذا أحسن المدح أو الذم، إنما هو دلالة على اقتدار الشاعر على صناعته.

ويؤمن قدامة بمقولة أنصار " أحسن الشعر أكذبه" ، بمعنى أنَّهم يختارون المبالغة والغلوَّ، فهو يُدافع عن موقفه من خلال تحليله بيت حسان بن ثابت ودفاعه عنه، والبيت هو:

" لَنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلمَعن بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدة دَما

وذلك أنَّهم يرون موضع الطَّعن على حسان في قوله:(الغُر)، وكان ممكنًا أن يقول: (البيض)؛ لأنَّ الغرَّة بياضٌ قليل في لونٍ آخر غيره، وقالوا: فلو قال: (البيض) لكان أكثر بياضًا من الغرَّة، وفي قوله: (يلمعن بالضحى)، ولو قال: بالدجى، لكان أحسن.

---

(١) النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري: هند حسين طه، ط (١٩٨١م)، دار الرشيد للنشر– العراق، ص ٢٠٣.

(٢) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص ٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٤.

وفي قوله: (وأسيافنا يقطرن من نجدة دمًا)، قالوا: ولو قال: يجرين، لكان أحسن، إذ كان الجري أكثر من القطر... وعلى أن من أنعم النظر علم أنَّ هذا الرد على حسان من النابغة – كان أو من غيره– خطأٌ بين، وأنَّ حسَّان مصيب؛ إذ كان مطابقةُ المعنى بالحقِّ في يده، وكان الردُّ عليه عادلًا عن الصواب إلى غيره. فمن ذلك أن حسان لم يُرد بقوله : الغر أن يجعل الجفان بيضًا، فإذا قصر عن تصيير جميعها بيضًا نقص ما أراده، لكنه أراد بقوله الغر: المشهورات؛ كما يُقال: يومٌ أغرُّ، ويدٌ غرَّاء، وليس يُراد البياض في شيءٍ من ذلك، بل يراد الشهرة والنباهة.

وأما قول النابغة: في يلمعن بالضحى، وأنه لو قال: بالدُّجى، لكان أحسن من قوله: بالضحى؛ إذ كل شيء يلمع بالضحى، فهذا خلافُ الحق وعكس الواجب؛ لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطعُ النور الشديد الضِّياء، فأمَّا الليل فأكثرُ الأشياء من أدنى نور، وأيسر بصيصٍ يلمع فيه، فمن ذلك الكواكب وهي بارزةٌ لنا مقابلة لأبصارنا، دائمًا تلمع بالليل، ويقل لمعانها بالنَّهار حتى تخفى، كذلك السرج والمصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار، والليل تلمع فيه عيون السباع لشدة بصيصها، وكذلك اليراع حتى تخال نارًا.

فأما قول النابغة أو من قال: إن قوله في السيوف: يجرين خيرٌ من قوله: يقطرن؛ لأنَّ الجري أكثرُ من القطر، فلم يُرد حسان الكثرة، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناسُ، ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل، والبطل الفاتك بأن يقولوا : سيفه يقطر دمًا، ولم يُسمع: سيفه يجري دمًا، ولعله لو قال: يجرين دمًا عدل عن المألوف، المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادةُ العرب بوصفه ... فأقول: إن الغلوَّ عندي أجودُ المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديمًا... ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المقدم ذكره، فهو مخطئ، لأنهم وغيرهم– ممن ذهب إلى الغلو– إنما أرادوا به المبالغة، وكل فريق إذا أتى من المبالغة، والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم؛ فإنما يريد به المثل، وبلوغ النهاية في النَّعت، وهذا أحسنُ من المذهب الآخر" [١].

([١]) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص ١٨– ١٩.

لنخلص إلى القول بأن قدامة بن جعفر، ومن خلال الملاحظات السابقة تجاه قضية الصدق والكذب، كان يطالب الشاعر ببلوغ الجودة في الصناعة الشعرية، وصياغتها بغض النظر عن الصدق أو الكذب فيه.

٥- عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ):

يشير عبد القاهر الجرجاني إلى قضية الصدق والكذب في معرض حديثه عن التخييل، فيقول في كتابه (أسرار البلاغة):

" وأما القسم التخييلي، فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صِدقٌ، وإنَّ ما أثبتَه ثابت وما نفاه منفيّ، وهو مفتنُّ المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد يُحصَر إلاّ تقريبًا، ولا يُحاط به تقسيمًا وتبويبًا، ثم إنه يجيء طبقاتٍ، ويأتي على درجاتٍ... وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة، أن يجعلوا اجتماعَ الشيئين في وصفٍ عِلةً لحكمٍ يريدونه، وإن لم يكن كذلك في المعقول ومُقْتَضيَات العقول، ولا يؤخذ الشاعر بأن يصحِّح كونَ ما جعله أصلًا وعلّة كما ادَّعاهُ فيما يُبْرِم، أو يَنْقض من قضيّة، وأَن يأتي على ما صيَّره قاعدةً وأساسًا بيّنة عقلية ... وكذلك قول من قال: خير الشعر أكذبه، فهذا مراده؛ لأن الشعر لا يكتسب من حيث هو شعرٌ فضلًا ونقصًا، وانحطاطًا وارتفاعًا، بأن يَنحَل الوضيعَ صفةً من الرفعة هو منها عار، أو يصفَ الشريف بنقص وعار... وأما من قال في معارضة هذا القول: خير الشعر أصدقه كما قال:

وإنَّ أَحْسَن بيتٍ أنت قائلهُ بَيْتٌ يقالُ إذا أنشدتَه صَدَقَا

فقد يجوز أن يراد به أن خير الشعر ما دلّ على حِكْمة يقبلها العقلُ، وأدبٍ يجب به الفضل، وموعظةٍ تُروِّض جماح الهوى، وتبعث على التقوى، وتُبيّن موضع القُبح والحُسن في الأفعال، وتَفْصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد يُنحَى بها نحو الصدق في مدح الرجال، كما قيل: كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه " [١].

---

(١) أسرار البلاغة في علم البيان: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ص ١٩٢- ١٩٦.

يرى عبد القاهر الجرجاني أن الإبداع والإغراب مقدمان على الصدق، فهو يرضى بالإبداع والإغراب من الناحية الفنية، أكثر مما يرضى من صدق التعبير.

يعد عبد القاهر الجرجاني ممن تميّز في رؤيته لقضية الصدق والكذب من الناحية الفنيّة والأدبية، بعيدًا عن الجانب العقلاني المنطقي، مقوّما إيّاها في المقولتين النقديتين السابقتين وهما مقولة: " أحسن الشعر أصدقه ".

فالصدق عنده هو: " أن خير الشعر ما دلّ على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل، وموعظة تروّض جماح الهوى، وتبعث على التقوى، وتبيّن موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال، كما قيل: كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه " [١]. يتّضح من هذا القول أنّه يطرق مفهوم الصدق الأخلاقي الذي يُعنى بمقاربة الحقيقة والواقع، ومجانبة المبالغة والإغراق.

أما مقولة: " أحسن الشعر أكذبه "، فيرى أن: " الصنعة إنما تمدّ باعها، وتنشر شعاعها، ويتّسع ميدانها، وتتفرع أفنانها؛ حيث يُعتمد الاتّساع والتخييل، ويُدَّعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل... ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذمّ، والوصف والنعت، والفخر والمباهاة، وسائر المقاصد والأغراض، وهناك يجد الشاعر سبيلًا إلى أن يُبدع ويزيد، ويُبدي في اختراع الصوّر ويُعيد، ويُصادف مضطربًا كيف شاء واسعًا، ومددًا من المعاني متتابعًا" [٢].

ويقول الدكتور إحسان عباس: " وعلى أساس ذلك المنهج العقلاني الجمالي تناول الجرجاني مشكلة من مشكلات النقد القديمة، استغرقت كثيرًا من جهد النقاد من قبله ومن بعده، أعني بذلك علاقة الشعر بالصدق والكذب، فنفى أن يكون كل من الصدق والكذب عند الحديث عن الشعر متعلقين بالصدق أو الكذب في الخبر، أو واردين بالمعنى الأخلاقي، فمن قال كما قال البحتري:

---

(١) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص ١٩٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

" في الشعر يغني عن صدقه كذبه "، أو قال: " خير الشعر أكذبه "، فإنه لا يعني منح الممدوح صفات ليست فيه، أو وصف الجواد بالبخل، والطائش بالحلم والسداد، ومن قال: خير الشعر أصدقه، فإنما يعني أنه يميل إلى ترك الإغراق والمبالغة فيه " [١].

٦- أبو هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥ هـ):

ذهب أبو هلال العسكري يشيد بكل من اتبع مذهب الغلو، ويري أن معظم الشعر بُني على المبالغة والكذب، وأن حسن اللفظ، وجودة المعنى سوَّغا استعمال الكذب، وذلك في قوله: " وإن كان أكثره قد بنى على الكذب، والاستحالة من الصفات الممتنعة، والنعوت الخارجة عن العادات، والألفاظ الكاذبة؛ من قذف المحصنات، وشهادة الزور، وقول البهتان؛ لا سيما الشعر الجاهلي الذى هو أقوى الشعر وأفحله؛ وليس يراد منه إلّا حسن اللفظ ، وجودة المعنى؛ هذا هو الذى سوّغ استعمال الكذب، وغيره مما جرى ذكره فيه. وقيل لبعض الفلاسفة: فلان يكذب في شعره، فقال: يراد من الشاعر حسن الكلام، والصّدق يراد من الأنبياء " [٢].

وهنا يتجلى رأي أبي هلال العسكري في هذه القضية، فيميل إلى الغلو والمبالغة المحمودة.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: إحسان عباس، ط ٤ (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، دار الثقافة- بيروت- لبنان ، ص ٤٣٥.

(٢) الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، المكتبة العنصرية – بيروت- لبنان، ص ١٣٦- ١٣٧.

قائمة المصادر والمراجع

١- الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام: شوقي عبدالحليم حمادة، ط (١٩٧٠م)، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ص ٢٢.

٢- أسرار البلاغة في علم البيان: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ص ١٩٢-١٩٦.

٣- البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٧ (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، مكتبة الخانجي- القاهرة، ٢/ ٣٢٠.

٤- تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: إحسان عباس، ط٤ (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، دار الثقافة- بيروت- لبنان، ص ٤٣٥.

٥- الحيوان: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ط٢ (١٤٢٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ٣/ ٣٣.

٦- رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١/ ٣٦.

٧- الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل

إبراهيم، ط (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، المكتبة العنصرية- بيروت- لبنان، ص ١٣٦- ١٣٧.

٨- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبدالله (ت ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط (١٩٨٠م)، دار المدني- جدة، السفر الأول ص ٢٠٨- ٢٠٩.

٩- قضية الصدق والكذب في النقد العربي: وليد إبراهيم قصاب، ط١ (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م)، سلسلة كتاب المجلة العربية ٢٧٨- الرياض، ص ١٠.

١٠- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ص ٨١.

١١- نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية): مصطفى الجوزو، ط٢ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، دار الطليعة- بيروت- لبنان، ص ١٨١.

١٢- النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري: هند حسين طه، ط (١٩٨١م)، دار الرشيد للنشر- العراق، ص ٢٠٣.

١٣-نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت٣٣٧هـ)، ط١ (١٣٠٢هـ)، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، ص ٤.

١٤- النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف: داوود سلوم، ط٢ (١٩٧٠م)، مكتبة الأندلس- بغداد- العراق، ص ٢١٠.